المحاضرة 8: التواصل الحركي

الأهداف التدريسية:

- ✓ تلقين الطالب أساسيات نظرية التواصل الحركي (غير اللفظي)
- ✓ فهم الجوانب الأنثروبولوجية في دراسة أنماط التواصل الحركي.

التواصل والأنثروبولوجيا واللسانيات: راي بيردوستيل.

يمثل التواصل عند برودستيل Ray Birdwhistell جزءا من شبكة مفاهيمية حيث يكون السياق والتشفير والبنية والسيرورة قابلة للمبادلة كليا، حيث يضفي بيردوستيل تصوره للتواصل امتدادا يصبغه الأنثروبولوجيون بشكل تقليدي على مفهوم الثقافة "من وجهة النظر المقدمة هنا يمكن اعتبار التواصل بمعنى أوسع، الجانب الفعال من البنية الثقافية" ويسعى برودوستيل أن توضيح هو أن الثقافة والتواصل كلمتان تمثلان وجهتي نظر أو منهجين في تمثيل التعالق الإنساني Interconnexionectrdness المنظم والمهيكل، في كلمة الثقافة يتم تأكيد البنية أما في التواصل فيكون التأكيد على العملية، إلا أن مثل هذه الصيغة الجديدة يمكن أن تؤدي إلى خطأ من جديد، إذ يمكن أن يفهم منها ضمنيا أن العملية تكون بلا بنية، وأن البنية ساكنة ربما بشكل صريح، يظهر هذا الاقتباس الطويل تردد بيرودوستيل في إقامة علاقة بسيطة بين الثقافة والتواصل من نوع: تواصل/ مسار=ثقافة /بنية، يتعلق الأمر بالنسبة إليه بتمييز جوهري أقل منه بتمييز مفهومي ومنهجي يعني محل الملاحظة، ولكن التقابل بين الملاحظة من فوق والملاحظة من تحت لا توضح المسألة بتاتا، وفي أحيان أخرى ينظر إليه كعملية دائمة*.

---

*يمكن ذكر بعض التعريفات المستقاة من مختلف النصوص، أن توضح هذا التردد الظاهري بين البنية والسيرورة، ويجب أن توضح هذه التعريفات التي تبدو فضفاضة وغامضة جدا، وربما فارغة من المعنى، في سياقها لتكون ذات معنى.

تعريفات موجهة نحو البنية الثقافية:

- "إن التواصل هو ذلك النظام المتشارك، والذي بواسطته يدعم المجتمع ومن ثم تصبح الحياة الإنسانية ممكنة"
- "إن التواصل هو ذلك النظام الثقافي الذي بفضله تنشئ الكائنات الإنسانية لحياتها استمرارية التوقع."
- "يشكل التواصل كنظام ثقافي، النظام الذي يسبغ الملائمة على السلوك الحسي المكلف بتحمل المهمة الاجتماعية

تعريفات موجهة للمسار الثقافي:

- "إن التواصل هو جانب الثقافة الذي يعطي الجانب الحركي للتنظيم الاجتماعي"

ترتكز رؤية برودستيل على أعمال سايبر التي هيأت للاتجاه الأنثروبولوجي "الثقافة والشخصية" التي ينتمي إليها بيرودوستيل معرفيا من دون الأخذ في الاعتبار توجهه للتحليل النفسي، إن التواصل عند سايبر مكون من أفعال فردية، لكنه يأخذ بعدا اجتماعيا حين يتصور المجتمع باعتباره نسيجا واسعا من التواصل الذي يعيد الاعتبار لوجود المجتمع، ويؤكد سايبر كثيرا على الجوانب الإجرائية والدينامية للتواصل وهو ما انعكس على تردد برودوستيل في الاختيار بين المسار والنظام[1].

في مقال **"اللغة الموازية: 25 سنة بعد سايبر"** يشير برودوستيل إلى دين عليه اتجاه مقالات كـ "الكلام كمكون للشخصية" و"تأثير أنماط اللاوعي على السلوك الاجتماعي"، يحاول سايبر في هذا المقال الأخير التعبير عن هذه الجملة الشهيرة عن الحركات التي نتفاعل معها "تبعا لشفرة سرية ومركبة ليست مكتوبة في أي مكان، ويعرفها الكل وسمعناها جميعا"، كل العمل الذي قام بيه بيرودستيل حول الحركية والذي يعرفه كدراسة الجوانب التواصلية لحركات الجسم المتعلمة والمهيكلة": كان مشروع الحركية جزءا من عمل كبير جدا يتوخى منه محاولة وصف مجموعة أنماط التواصل غير اللفظية انطلاقا من نقل دور الثقافة في اللغة إلى مجموع السلوك الاجتماعي، إنها نظرة أخرى ذات بعد سايبري بامتياز، وإذا كانت الثقافة لا تتمكن من الحفاظ إلا على عشرات الأصوات من بين آلاف التي يمكن للجهاز الصوتي انتاجها، فسيكون من الممكن تصور أن الثقافة تحتفظ بعشرات الحركات من بين الآلاف التي ينجزها الجسد. تشكل هذه الحركات البدائية نظاما تواصليا داخل هرمية يمكن أن تكون مشابهة لهرمية اللغة، وانطلاقا من هذه الفرضية يجدر بنا دراسة الثقافة برمتها من ميدان لأخر باعتبارها نظاما أوسع للتواصل، هنا يمكن استحضار المسلمة الأولى للبنيوية كما يقول عالم اللسانيات جورج تراغر George Trager "إذا أمكن تحليل اللغة بنيويا، وإذا كانت بقية الثقافة في جزءها الأكبر مشروطة باللغة، وجب بالتالي تحليل كل الثقافة بطريقة بنيوية"[2].

فقد تمكن برودوستيل ضمن فريق جورج تراغير تحديدا من كتابه: مدخل إلى الحركية Introduction to Kinesics، كما بلور الباحث الانثروبولوجي إدوارد هول Edward Hall نمطا صوريا للثقافة يرتكز على تناظر

- "يمكن أن يوصف التواصل باعتباره الجانب النشيط من بنية الترابط الاجتماعي"

[1] إيف وينكين، مرجع سبق ذكره، ص 83.

[2] المرجع نفسه.

لساني وموسيقي في الوقت ذاته. يؤكد هول أن كلا من الصوت والمفردة والمقطع التركيبي يصبح نوتة موسيقية وبالمماثلة مع التقاسيم الموسيقية، سلاسل ومخططات وضعت هذه الشبكة لتطبق على الثقافة التي يفترض أن تقرأ عندئذ كمقطوعة موسيقية، في هذا الصدد يقول هول "**إن الثقافة تواصل**"[3].

يتشكل المستوى الثاني لتصور برودوستيل عن التواصل باعتباره عملية دائمة متعددة القنوات"، تستعمل كل الأساليب الحسية: الرؤية، السمع، الشم، اللمس... إلخ، ولا يمكن عزل عنصر عن نظام البنية التحتية كاللغة، بغرض دراسة التواصل البيشخصي.

[3] إيف وينكين، مرجع سبق ذكره، ص 85.